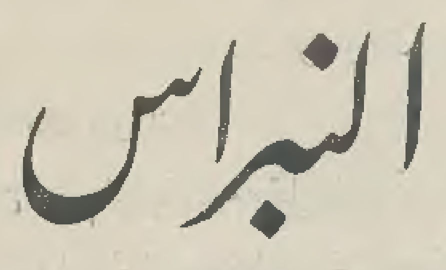


١٣٢٧

بيروت — غرة صفر سنة ١٣٢٧ = الموافق ٢١ شباط سنة ١٩٠٩

التربية اساس النجاح

١

تمهيد

في التربية وفضائلها

التربية كلمة صغيرة اللفظ كبيرة المعنى تنطوي تحتها الكمالات اجمعها ، فهي ملاك الخير كله ، وجماع الفضيلة باسرها ، وعليها مدار الكون ، وبها تنال الفلاح ، وفيها قبعت ذرات النجاح

وهي في اللغة مصدر ربَّاه يربيه تربيةً بمعنى نمَّاه ٠ وفي اصطلاح علماء الاخلاق والتربية هي تنمية الاخلاق الفاضلة في النفس وتعهُّدها بالارشاد لتكون ملكة راسخة فيها فتثمر الفضيلة والخير

فعلى التربية الحق سعادة الامم وفلاحها وشقاؤُها وانخذالها ، فمتى كانت التربية صحيحة في امة من الامم رفعت بها من وهاد التأخر الى ذروة الفلاح ٠ والعكس بالعكس ٠ وعلى مقدار التربية تكون تجلية الاقوام في مضمار هذه الحياة ، فما من امة

وجدت التربية الحق في قلوب ابنائها متسعاً الا وبلغوا ما يأملون من رفاه العيش وسعادة الحياة ٠ وبقدر التربية يكون في الامم الرجال المفكرون الذين يبذلون وسعهم وينفدون مجهودهم لترقية امتهم واوطانهم

— خذ اية امة من الامم الراقية اليوم وقبل اليوم تجد انها تقدمت وبلغت ما بلغت من العظمة والمدنية بواسطة اناس تربوا تربية صحيحة فعرفوا انحطاط امتهم وتأخرها فضحوا كل مرتخصٍ وغالٍ حتى ارواحهم ودمائهم في سبيل تخليص امتهم من مخالب الظلم والاستبداد ، والاخذ بايديها ونشلها من مهاوي الجهل والفساد ، حتى أنافوا بها على يفاع الحرية وذروة المدنية٠ والامثال على ذلك كثيرة تكاد لا تحصى والتاريخ طافح بها ٠ وهاك مثالاً من ذلك — الامة العربية :

— الامة العربية وما ادراك ما هي ؟ تلك الامة الرفيعة الشأن البعيدة الصيت التي بلغت من المدنية والعمران شأواً بعيداً لا تزال آثاره ناطقة شاهدة على ما كان لهم من العظمة في الملك والسلطان وامتداد السطوة ٠ تلك الامة التي مدت جناح ملكها عَلَى الحجاز واليمن والشام والعراق وفارس وافريقيا والاندلس وقسم من اوربا ووصلت حوافر خيولها الى قسطنطينية وباريس ٠ تلك الامة التي نشرت العلوم والمعارف والصناعات ، وبثت في ارجاء المعمور انوار الهداية الى سلوك مناهج العلم والفضيلة ٠ تلك الامة التي لم تزل اوربا اليوم تعترف لها بالتقدم وتقول انها تلميذة لها ، وعنها تلقَّت العلوم والصناعات التي كانت لها نوراً اوصلها الى ما هي عليه الآن من التقدم والبراعة في كل شيء٠

تلك الامة التي هذا شأنها ، ماذا اصابها حتى اصبحت الآن منزوعة السلطة ، متأخرة في كل شيء ؟

— من نظر اليها بعين التروي والبصيرة نظر المنتقد الخبير يعلم ان ضعف التربية وفساد الاخلاق هو الذي اوصلها الى هذه الحال من التأخر — فسدت اخلاق

الناس بفساد اخلاق الملوك « ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة »
ملوكها بطرت معيشتهم فاستبدوا برعيتهم ، فقام عليهم ثائر من اهلهم او من غيرهم بداعي الاصلاح فاشتعلت الحروب الداخلية فلهى بها الناس وتركوا التعليم والعلم والتهذيب والتربية — زد على ذلك ان الاجنبي اغتنم فرصة هذه المشاكل الداخلية فجاءهم على حين غرة فاصبحوا بين شقين من عصا : عدو في الداخل وعدو من الخارج وتلك هي الطامة الكبرى والبلية العظمى . وما زالوا على انفسهم والعدو الخارجي عليهم ينقص ارضهم من اطرافها الى ان زالت مدنيتهم وبقيت اثراً بعد عين واضمحل ملكهم وذهب من ايديهم الى يد غيرهم وكادت تمحى الدول الاسلامية لولا ان قبض على ناصية الخلافة خلفاء بني عثمان ، وهم لا يزالون الى الآن

هذا مثال من امثلة الامم التي كان ضعف التربية وفساد الاخلاق سبب انحطاطها بعد الارتفاع وتأخرها بعد التقدم

وهاك مثالاً آخر وهو اقرب ما اضربه للقارئ :

— مضى على الامة العثمانية حين من الدهر (٣٣ سنة) لم تكن فيه شيئاً مذكوراً بعد ان كانت تخوفها دول العالم وتحسب لها الف حساب ، فقد كانت في مقدمة الدول استعماراً واستعداداً ، فلما نخر سوس فساد التربية والاخلاق عظم جسم مجتمعها بسبب ما طرأ عليها من استبداد الهيئة الحاكمة واماتة الشعور فيها والضغط على عقولها — لما حصل ذلك في الامة اشرفت على الهلاك واشفت على شفا جرف هارٍ من الاضمحلال ، فطمعت فيها الدول الحاضرة التي كانت تخافها وكادت تقتسمها فعلاً لولا ان اسعفها اولئك الاحرار الذين صاحوا بالاستبداد واهله صيحة اماتتهم ، فاجفلت عند ذلك الدول الطامعة باغتيال المملكة واقتسامها شر اقتسام ، ووقفت على الحياد .

— اولئك الاحرار الذين كانوا سبب انالتنا الحرية وواسطة كسر قيود

الاستبداد والظلم عن ايدينا وارجلنا ، وفك عقالات المراقبة عن اقلامنا ، وتحطيم اغلال الجاسوسية عن السنتنا ، — اولئك الاقوام الاحرار كانوا سبب هذا الانقلاب العظيم الذي ابدل شكل الحكومة من مطلقة مستبدة الى مقيدة عادلة . وهل يظن احد ان هذا الفكر كان يجول في غير ادمغة المتربين من الامة الى ان اظهره الى عالم البروز هؤلاء الاحرار ؟ كلا ثم كلا

— هذا الفكر لم يكن لينشأ الا من قوم قتلوا التربية علماً ثم سعوا في امرٍ كان موضع اعجاب العالم اجمع ، حتى ادهش الساسة وحير عقول الناس كافة على اختلاف طبقاتهم وتباين مشاربهم

فالتربية اذن هي منار التقدم ورائد الفلاح لكل امة تريد ان تربأ بنفسها ان تكون خاملة الذكر او تكون مع الهالكين



تربية الاخلاق والشعور

التربية الاولى منها

التربية المنزلية

خير التربية ما كان يرضع مع اللبن ، فمن تربى التربية المطلوبة وهو في سن الطفولية نشأ والاخلاق الفاضلة خلق فيه ، وصحة الرأي وصدق العزيمة شنشنة له ، لذلك يجب ان يعتنى بالولد الاعتناء اللازم منذ يرى نور الحياة الدنيا ، فيعوَّد كرم الاخلاق والشجاعة وحب الخير وغير ذلك من الفضائل والمحامد . ومتى كان كذلك فيرجى من الناشيء ان يكون عضواً صحيحاً في جسم الامة ، يبذل روحه ودمه في خدمة اوطانه ودولته ، لانه يكون بمقتضى تلك التربية مجبوراً مقهوراً على اداء الواجب نحو الامة ، « ولو كان في زمن حرية القول والعمل » اذ ليس منشأ ذلك الاجبار

او القهر السلطة الاستبدادية لان هذه السلطة تكره كل من يقوم باعباء الخدمة الوطنية واثقال منفعة الامة · وليس منشاؤه من قوم يأمرونه ذلك فيفعل حياءً او رياءً — ولكن ما هو منشأ ذلك ؟

— منشأ الاجبار على القيام بالواجب هو تلك العاطفة التي رباها المربي ، وعمل على احيائها العلم الصحيح — الا وهي الضمير — هذا الضمير او تلك النفس الطاهرة هي التي تجبره على خدمة وطنه وامته ودولته ، ولا تحصل تلك العاطفة بغير التربية الصحيحة · فالتربية جماع الخير كلهُ واساس الفضائل باسرها · فربوا ابناءكم وبناتكم ، وأودعوا في نفوسهم التعاليم القويمة ، وابذروا في قلوبهم تلك البذور الطيبة ، وتعهدوا افكارهم بمياه الفضائل ، ولا تدعوا لسلطان الاوهام والخرافات على عقولهم سبيلا ، وبذلك يحيون حياة طيبة ، ويكونون ابناء المستقبل يخدمونه بكل صدق وامانة واخلاص

التعليم امر عظيم جليل القدر عظيم الفائدة ، ولكن التربية اشرف وانبل ، واعظم واجلّ · فان العاقل الخبير والناقد البصير يرى من نفسهِ ارتياحاً لقوم حسنت تربيتهم ، ونبلت اخلاقهم وكرمت نفوسهم ، ولو كانوا غير متعلمين · ولا يرى هذا الارتياح وذلك الانس بفئة من المتعلمين ليس عندهم من التربية الصحيحة ما يرغب الناس في مخالطتهم والانس بهم ، وهذا مشاهد بالعيان ، ولا يحتاج في صدقهِ الى برهان · وقد ورد في الحديث الشريف : « خير الناس من يألف ويؤلف »

وليس المراد مما قدمناه انكار مزية العلم والتعليم ، حاشا لله ان اكون من الجاهلين ، فالعلم من اقوى دعائم المدنية ، واقوى اسباب الرقي في معارج الحضارة والعمران · وانما القصد ان التربية والاخلاق ومعرفة الواجب خير من العلم المجرد عن التهذيب والآداب والاخلاق الفاضلة ، وهذا لا ينكره عاقل ، وما احلاهما اذا اجتمعا في المرء

— كم رأينا من شبان درسوا ما درسوا ، واغترفوا من بحر العلوم ما اغترفوا ، ولكنهم في فساد الاخلاق غارقون ، وفي حمأة الشرور منغمسون ، لا ينفعون الامة والوطن ، وليس مرادهم الا « ربّي وسعدى وهنداً » وغيرهنّ من دواعي السرور واسباب الحبور .... غير انهم لو علموا العاقبة لقالوا : انها شرور واية شرور

— ناشدتك الله هل امثال هؤلاء المتعلمين سوى اعضاء شلاء في جسم المجتمع؟ وهل تفضلهم على اولئك الاخيار الاطهار اصحاب القلوب النقية البيضاء ، والاخلاق الكريمة السمحة الذين لم يسعفهم الحظ بالجلوس وراء مناضد المدارس ؟؟

* * * * *

ليس القصد من التربية ان تكون الالفة بين النوع الانساني فقط ، بل الامر اعلى من ذلك وارفع واشرف وانبل ، فان الغاية التي نقصداليها ، والضالة التي ننشدها هي ان نوجد بواسطة التهذيب والتربية في نفوس النشء شعوراً لطيفاً وعاطفة شفافة يجبرانه على القيام بالواجب نحو الامة والوطن والناس اجمعين ، وذلك لا يكون الا بتعويد الاحداث على مكارم الاخلاق واحاسن الاعمال منذ نشأتهم ، وبذلك نكون قد خدمنا الوطن والانسانية اجل خدمة تذكر فتشكر . فتعويد الاحداث على العمل بالواجب منذ الصغر يربي في نفوسهم تلك العاطفة التي نريدها ، وذلك الشعور الذي نتطلبه فالتربية في الصغر كالنقش في الحجر

الولد لا بد ان يشب على خلق حميد او ذميم ، لانه بحكم القسر والطبيعة مفطور على اكتساب ما يسمعهُ او يراه من خيرٍ او شر ونفع او ضرّ ، فهو بالقياس الى ما يسمعه كالصدى « الفونغراف » وبالنسبة الى ما يراه كناقل الهيئة (الفوتغراف) فكما ان الاول يحفظ في اسطوانتهِ ما يلقى اليهِ من الالفاظ ، والثاني ينطبع في زجاجته ما يكون امامه من الاشباح والهيئات ، ثم يبدي كل منهما ما اكنه واخفاه ان خيراً فخير وان شراً فشر ، فكذلك الولد ينطبع في مرآة عقله ما يراه من الافعال

وينقش في صفائح ذهنه ما يسمعه من الاقوال ، ثم يبدي للناس و يعاملهم حسب ما رآه وسمعه — فمثل قلب الولد مثل الشمعة قابلة لكل نقش وصورة ، فاحذر ايها الرجل ان تنقش في فوآد ولدك وفلذة كبدك ما يكون وبالاً عليه وعلى امته في مستقبل حياته

قال الامام الغزالي :

« ان الولد امانة عند والديه ، وقلبهُ الطاهر جوهرة نفيسة خالية عن كل نقش وصورة ، فان عُوِّد الخير وعُلِّمه نشأ عليه ، وسُعد في الدنيا والآخرة ، وشاركه في ثوابه ابواه وكل معلّم ومؤدّب . وان عُوِّد الشرّ وأُهمل شقي وهلك ، وكان الوزر في رقبة وليّه والقيم عليه » اه

فسعادة الوطن — معشرَ ابنائه — ان ندأب في تهذيب الاحداث وتربية الصبيان قبل ان يأتيهم يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون ، وهو يوم الجهاد الاكبر في معترك الحياة التي تستقبله ، فالتربية لاتؤثر الا ان كانت منذ الصغر كما قدمنا . واما تربية الشبان بعد ان تتأصل فيهم شأفات الجهل وفساد الاخلاق فهي عسيرة ، واعسر منها تأديب الكهول والشيوخ ، وهؤلاء قد ينفعهم التعهد بالوعظ والارشاد من حين الى آخر :

قد ينفع الادبُ الاحداثَ في صغرٍ وليس ينفعهم من بعده ادبُ
ان الغصون اذا قوّمتها اعتدلت ولا يُقوّم لو قوّمته الخشبُ

تلك هي التربية الأُولى في الدور وهو دور الطفولة او دور التهذيب المنزلي او الأُسريّ ، وهو دور يجب التنبه له اشد التنبه ، اذ عليه مدار رحى الآمال

— التربية المنزلية خير واسطة لبث المبادىء القويمة في نفوس النابتة ، وافضل سبب يرقى بهم في سلم النجاح والخير . وفي الجملة فتأثير الاسرة « العائلة » في طبائع الناشئين وعقولهم امر لاينكر . بل ان طبائع الآباء ربما تنتقل الى بنيهم في طريق الارث ، حتى ذكروا ان بعض فلاسفة الاميركان « او ليفيه ويندل هلمس » سُئل عن مبدإ

تربية الطفل فقال : « تبتدئ تربية الطفل قبل أن يولد بمائة سنة » يريد بذلك ان التربية تراث يرثه الولد عن آبائه كما ورد في الحديث الشريف : « الرضاع يغير الطباع » — فان لم تحسن اخلاق الوالدين والوالدات أثر ذلك في اولادهم، لهذا يجب على المربين والمربيات أن يتكلفوا الاخلاق الحسنة وان لم يكونوا من اهلها حتى تنطبع في مخيلة الولد صور السجايا الحسنه وهيئات الاخلاق الصحيحة

ومن آكد الواجبات في هذا الدور ان يترك الوالدان كل خصام وجدال، وينبذا كل خلق سيء يؤدي الى النفور، وذلك بان يعرف كل من الزوجين ما لاحدها على الآخر من الحقوق فيؤديها ، والا كان خصامهما وتنافرهما ضربة قاضية على البنين والبنات ، لانهم يحفظون من الآباء والامهات روايات سيئة يمثلونها متى بلغوا مبلغ الحياة الزوجية

وليعلم أن تربية الولد بين ظهراني أسرته « عائلته » هو خير له واولى من دفعه الى المربيات يتصرفن فيه بسوء اخلاقهن وشر عاداتهن . وانا لنرجو من السيدات ان يتحملن تلك المشقة مشقة التربية والتهذيب بانفسهن ، فهي في الحقيقة راحة وحسن مستقبل لاولادهن (البقية للآتي)

الجمال

بقلم السيد مصطفى لطفي افندي المنفلوطي وهي احدى نظراته التي ينشرها في المؤيد

الجمال هو التناسب بين اجزاء الهيئات المركبة سواء كان ذلك في المحسوسات او في المعقولات وفي الحقائق او في الخيالات

ما كان الوجه الجميل جميلاً الا للتناسب بين اجزائه وما كان الصوت الجميل جميلاً الا للتناسب بين نغماته ولولا التناسب بين حبات العقد ما افتتنت به الحسناء

والتناسق بين ازهار الروض ماهامت به الشعراء

ليس للتناسب قاعدة مطردة يستطيع الكاتب ان يبينها فالتناسب في المرئيات غيره في المسموعات وفي الرسوم غيره في الخطوط وفي القواعد العلمية غيره في القصائد الشعرية. على انهُ لاحاجة لبيانه مادامت الاذواق السليمة تدرك بفطرتها مايلائمها فترتاح اليه وما لايلائمها فتنفر منه

ان كثيراً من الناس يستحسنون الانف الصغير في الوجه الكبير والرأس الكبير في الجسم الصغير ولا يفرقون بين البرص في الجسم الاسود والخال في الخد الابيض ويطربون لنقيق الضفادع كما يطربون لخرير الماء، ويفضلون انغام النواعير على انغام العيدان، ويعجبون بشعر ابن الفارض وابن معتوق والبرعي اكثر مما يعجبون بشعر ابي الطيب وابي تمام والبحتري ويضحكون لما يبكي ويبكون لما يضحك ويرضون بما يغضب ويغضبون بما يرضي

اولئك هم اصحاب الاذواق المريضة واولئك الذين تصدر عنهم افعالهم واقوالهم مشوهة غير متناسبة ولا متلائمة لانهم لم يدركوا الجمال فيصدر عنهم ولم تألفه نفوسهم فيصير غريزة من غرائزهم

ان رأيت شاعراً يبتدئ قصائد التهنئة بالبكاء على الاطلال ويودع القصائد الرثائية النكات الهزلية ويتغزل في ممدوحه كما يتغزل في معشوقه، او متكلما يقتضب الاحاديث اقتضابا ويهزل في موضع الجد ويجد في موضع الهزل، اوصحافياً يضع العنوان الضخم للخبر التافه ويكتب مقدمة في السماء لموضوع في الارض، او حاكماً يضع الندى في موضع السيف والسيف في موضع الندى او ماشيا يتلوى في طريقه من رصيف الى رصيف كانما يرسم خطا متعرجاً او لابساً في الشتاء غلالة الصيف وفي الصيف فروة الشتاء، او داعياً (وهو) في المسجد الى حفلة رقص، او صارخاً بالدعاء الى مبدأ سياسي في مجمع تمثيل — فاعلم ان ذوقه مريض وانه في حاجة الى معالجة ذوقه كحاجة المجنون الى علاج عقله والمريض الى علاج جسمه

كما انه ليس كل مجنون يرجى شفاؤه ولا كل مريض يرجى ابلاله، كذلك ليس كل من فسد ذوقه يرجى صلاحه فان رأيت من تؤمل في صلاحه خيراً وتجد في نفسهِ استعداداً لتقويم ذوقه فعلاجه ان تحيطه بانواع الجمال وتدأب على تنبيهه الى مناسباته وموءتلفاته وان استطعت ان تعلمه فناً من الفنون الجميلة كالشعر والتصوير والموسيقى فافعل فانها المقوّمات للاذواق والغارسات في النفوس ملكات الجمال

سعادة الحياة

١

مقدمة

الحياة ثروة للمرءِ فاما ان يحتفظ بها ولا يفرط فيها ولا يصرف منها شيئاً الا عند الحاجة ، واما ان يبذر ويجود بها لاقل سبب سواء كان محموداً او مذموماً ضاراً او نافعاً جائزاً او محظوراً — وبحسب احتفاظه بماله وادخاره الى وقت الحاجة اليهِ تكون سعادته فيهِ واجتناء الفوائد منه

— خلق الله الانسان ووعده بالسعادة والخير ان هو سار في السنن التي سنها واوعده الشر ان هو حاد عن طريق الهدى ولم يتبع الطريق السوى ، وابان له الاسباب وعرّفه بالمسببات ، واوضح له انهُ خلقه للسعادة وانه لا يسلبها عنه ما دام منتهجاً سننها معتصماً بحبلها ، وتلك الاسباب التي عرّفه بها ظاهرةٌ لكل ذي عقل سليم ، غير ان اتباع الهوى والميل الى الشهوات والسعي وراء المنفعة الخاصة — كل ذلك يصرف المرء عن النظر في شؤون الحياة الحقيقية و يصدف بهِ عن الميل لما فيهِ سعادة حياته وهناء معيشته

— بينا نرى احد الناس ذا ثروة طائلة وعيشة راضية وقصور فخيمة واثاث

ورياش وخدم وحشم وغير ذلك من وسائل الرفاه واسباب النعيم ، اذا هو اصبح فقيراً لا يملك نقيراً ولا قطيراً ، فيخدم بعد ان كان مخدوماً ، ويعمل للناس بعد ان كانوا يعملون له . ولو بحثت عن اسباب فقره بعد الغنى وبؤسه بعد النعيم وذله بعد العز لرأيت ان الاسباب كلها ترجع لشيء واحد وهو العدول عن سنة الله في خلقه ، وعدم اتباع المناهج التي انتهجها ليسلكها من اراد ان يكون سعيداً في حياته — صاحب الثروة والغنى : امره الله ان لا يكون بخيلاً شحيحاً بحيث لا ينتفع بجزء من ماله أولو الفاقة والفقر ، كما امره ان لا يكون مبذراً يذهب الاموال ويجود بها لامرٍ غير مشروع او عمل غير مبرور ، بل اوجب عليه ان يكون وسطاً بين التبذير والشح بحيث يصرف المال عند حاجةٍ وراءها نفع مشروع له او لغيره من عيال الله ، فان خالف ذلك الامر وطرق باب البخل عاش في الدنيا كئيباً كسف البال متعباً ضيق الصدر . وان صرف امواله جزافاً فلا يمضي عليه زمن الا ويصبح صفر اليدين فارغ الصناديق فيندم حيث لا ينفعه الندم ، فهو في كلتا الحالتين من الاخسرين اعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة . اما ان بقي محافظاً على سلوك الطريقة الوسطى فهو سعيد في حياته لعدم وجود ما يكدر صفوه من الوسائل التي تذهب بامواله وتدعه في حرج عظيم « ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً » فانحراف الاولين عن النهج القويم اذهب بسعادة حياتهما واعتصام الثالث بحبل الفضيلة وعدم الميل الى طرفي الامر ابقاه في سعادة دائمة وعيش رغد

هذا اذا نظرنا الى جهة السعادة والشقاء من حيث النعيم بالمال وغيره ، وان نظرنا اليهما من حيث صحة العقل والجسم وسعادته بالمنزل والاهل والاصحاب او عدم ذلك نجد أن القاعدة العمرانية المتقدمة وهي التوسط في الامور تتمشى مع هذه الاشياء كما تمشت مع سابقها:

نرى شخصاً سليم العقل صحيح الجسم حميد الصفات فلا يمر عليه زمن حتى نراه شاحب اللون ضئيل الجثمان قليل الفهم مذموم الخصال . فيعترينا عند

ذلك جفال وحيرة ودهشة ، ولم نعلم لذلك سبباً ، ولو تأملنا في حالته واختبرناه اختباراً صحيحاً نرى ان افراطه في شهواته وتفريطه في جنب الاعتماد على ما امره به الله سبحانهُ من الترفع عن الدنايا وعدم الانغماس في حمأة الشهوات والشرور ، ومن ذلك عدم مراعاة قوانين الصحة — كل ذلك كان سبب شحوبه والتخليط في عقله وبعده عن الآداب الصحيحة والمزايا الحميدة . فلو ان مثل هذا الرجل لم يحد عن الصراط المستقيم ولم ينحرف عن جادة الحق عاش سعيداً في جسمه وعقله واخلاقه . وقس على ذلك السعادة باهله واسرته واصدقائه فان اتباعه للقواعد التي تعرّفه كيف يسير بالاهل والاسرة والاصدقاء والناس اجمعين ، تجعله سعيدا ما دام محافظاً عليها وتشقيه في حياته ان حاد عنها

يشكو كثير من الناس شقاء الحياة و بؤس العيش ولو عملوا بالواجب عليهم نحو الحياة لم يشكوا منها ، غير ان ضلالهم عن المنهج السويّ وابتعادهم عما فيه خيرهم وسعدتهم يسلكان بهم طرقاً يضل فيها الخريت وترهق الانفس فهم لذلك يندبون سوء حظهم و يشكون من حياتهم ، ولو انهم اقلعوا عن الهوى واتبعوا سبل الهدى ، فرموا بالشهوات والمنفعة الوهمية جانباً ولم يعملوا الا بما يوافق سنن الله فيما خلقه والاسباب التي وضعها لعباده لعاشوا عيشة راضية . غير ان العادات السافلة والاخلاق الدنيئة متى تمكنت من المرء تعمي بصره وتغشّي بصيرته فلا تدعه يرى بعقله وقلبه ما يكون السبب الوحيد لنجاته وخلاصه ، ولا تمكنهُ من النظر الى سنن الله في الاكوان ، ولا مشاهدة انوار الحياة السعيدة التي ترفعهُ عن مرتبة الحيوان

اما الاسباب التي تجعل المرء سعيداً في حياته الجسمية والعقلية والمالية والاهلية وغيرها فهي كثيرة ومتى عمل الانسان بها وصل الى ما يتطلبه من سعادة الحياة ، فيجدر بكل امرء كان له ذرة من العقل ان يتبع تلك القواعد و يعمل بهذه الاسباب حتى يبلغ ما يريد و يحصل ضالته المنشودة ، وسنتكلم على تلك الوسائل والاسباب في الاعداد الآتية ان شاء الله

الشعر الاجتماعي

الشعراء كثيرون والمجيدون قليلون ، والمجيدون منهم قد اختار كلٌّ طريقة واسلوباً وموضوعاً امتاز به عن غيره ، وشعراء الاجتماع والعمران كانوا من كل امة وجيل هم المقدمين لما ينشأ عن كلامهم في التأثير من النفوس الخامدة والهمم الهامدة ، فهم قادة الافكار ومقلبو القلوب ، وهـذا القسم من الشعر قليل عدده في شعراء العربية ومن هـذا القليل جميل صدقي الزهاوى البغدادى ، وله ديوان سماه الكلم المنظوم وهو يطبع الآن في المطبعة الاهلية في بيروت اودع فيه كثيراً من جيد الشعر واكثره نظمه في ايام الاستبداد ، وقـد اخترنا ان تنشر له اليوم شيئاً من شعره على صفحات «النبراس» قال تحت هذا العنوان

الناوبة واعدل

يحوّل عنها العين ثم يعيدها   حذار عدًى تغلي عليه حقودها
ويغضي خلال النظرتين محاذراً   رقيباً لها ان لم يكده يكيدهـا
ابى القلب الاّ حبّ سلمى وانما   يكاد الجوى يرديه لولا وعودها
وما تلك الاّ المدل فالعدل غادة   بعيدة مهوى القرط بادٍ نهودها
جلتها يد الابداع فهي حبيبـة   وان قلّ وصلا للمحبين جودها
بدت في برود الصبا عبقرية   وقد شفّ عن جسم منير برودها
مهفهفة الاعطاف طيبـة اللمى   وان كان مراً هجرها وصدودها
اذا نظرت بين الجمـاهير نحوه   ولو مرة في العمر فهو سعيدها
وان هي لم تعطف اليه بنظرة   بكت منه عين لا يرجى جمودها
وبات كئيباً يرقب النجم طالعاً   بعين له عبرى قليل هجودها
وتشخص طول الليل ابصاره الى   سماء نأت عنه بعيد حدودها
حوت انجماً زهرا يقدن وانما   قواها التي قد هجن فيها وقودها
تروم صعوداً نفسه لفضائهـا   فيعيى عليها ثم يعيى صعودهـا

فتطلب منه ان يحلّ عقالها　　　فذلك ينفي كربها ويفيدها
ويسهل منه للسماء رُقيها　　　وتُطوى مسافات به يدنو بعيدها
ترى النفع كل النفع في الموت انما　　　اضرّ بها بين العداة وجودها
تقول له لا تحرصنّ سفاهة　　　على عيشة قد بان عنك رغيدها
تريد بعزم ان تفارق جسمهُ　　　وتلك عليه شقةٌ لا يريدها
تنازعه حوص المنيـة نفسه　　　فتطلب وِرداً عنده ويذودها
ولو انهُ خلى اليهِ سبيلها　　　شفاها من الداء العقام ورودها
اذا هي ماتت مات كل همومها　　　واقلع عنها نحسها وسعودها
سواءٌ على من بات في بطن حفرة　　　رهين البلى بيض الليالي وسودها

* * *

سقى تربة الاوطان للعدل ديمة　　　تخففُ من امحالها وتجودها
ربوع تغشاها البلى ومنازل　　　تغير بعد الظاعنين عهودها
وعهدي بها للاسد قبل مرابضاً　　　فقل لي وأفصح اين سارت اسودها
ايزري ايزري في ارومة قدرها　　　عداة لئام بالشرور تكيدها
يعز على عينيّ ان تنظرا الى　　　بلاد تسوس الناس فيها قرودها
تعيث باهليها فتسقيهم الردى　　　وتغصب من اموالهم وتبيدها
يعزّ على عينيّ ان ترياً بها　　　سباباً من الاحرار صفراً خدودها
تعالج همّاً قدّر الله انهُ　　　يجرّ بها نحو الردى ويقودها
اذا لجئت من همها في نهارها　　　الى الليل كان الليل مما يزيدها
اسارى قصارى ما تحاول انها　　　تموت بعز او تفك قيودها
تقطّع من وقع الهموم قلوبها　　　وتنضج في نار العذاب جلودها
اذا سئلت عما تجنّ من الجوى　　　اضرّ بها اقرارها وجحودها

محاطون بالارزاء في ارض ذلة ‏ تهائمها منحوسة ونجودها
اذا اقلعت عنهم سحابة فتنة ‏ اظلتهم اخرى تدوّى رعودها
حياة لهم لم يبق ضمن جسومهم ‏ سوى شعلة منها قريب خمودها

* * *

اريقت دماء من رجال اعزة ‏ بارجسهم فاحمر منها صعيدها
يُدسون في ارماسهم فكانهم ‏ صوارم بيض والقبور غمودها
لحود لها ضمت جسوماً كريمة ‏ فلله مـا ضمت هناك لحودها
الا يوقظ الشبانَ ياقوم موقظ ‏ فقد طال في جوف التراب رقودها
ستنضح بالاكفان يوم حسابها ‏ دماء امام الله منها شهودها
فكم زوجة لما دهى الظلم بعلها ‏ بكت فبكى في الحجر منها وليدها
ومفجوعة اودى اخوها بعسفهم ‏ و والدة قد بان عنها وحيدها
معانٍ تنفل الغانيات بأرضها ‏ وقد غيل حاموها انفرّى كبودها
وتلتدم البيض الحسان من الاسى ‏ فترفضّ في اللبات منها عقودها
وترجف بالنوح السماء ملاحها ‏ وتبكي وتستبكي الملائك غيدها
وتنشد في تأبينهم شعراؤُها ‏ مراثي يشجي السامعين نشيدها
وقوفاً على الاجدات تتلو قصائداً ‏ فتبكي مع المستسمعين قصيدها
قصائد تحكي وصف من غيب الثرى ‏ اذا ختمته فالاسى يستعيدها
ديار بهنّ الامر صوّح دوحه ‏ سقاها ملك العدل فاخضر عودها
وما في بلاد الله كالظلم هـادم ‏ ولا مثل حكم العدل بانٍ يشيدها
و يسعد نفسي ان ترى العدل حاضراً ‏ فان غاب عنها غاب عنها سعودها
وما العدل الا غادة ملكية ‏ هوى النفس مني مقلتاها وجيدها

* * *

الا نهضة تدني الرجال من العلى فقد طال في دار الهوان قعودها
بنفسي كماة تحسب الموت ان يرى عن الموت يوماً روعها وصدودها
اباة ترى ان الحياة حقيرة وما حب نفس لايجوز خلودها
فتعلم ان الموت حق وانها اذا لم تَرُدْهُ فهو سوف يرودها
اذا لم تبدْ بالسيف يوم كريهة فمرُّ الليالي بعد حين يبيدها
اولئك اشراف البلاد وفخرها اولئك لا غير اولئك صيدها

بغداد في ١٩ حزيران سنة ١٣٢٢ هـ

عبرة وذكرى

او

الدولة العثمانية

قبل الدستور وبعده

مضى على الامة العثمانية حين من الدهر لم تكن شيئاً مذكوراً بما أُحدث فيها من المظالم ، وما وُجد من المغارم ، وما أتاها من شدة وطأة الاستبداد ، وامـاتة شعور العباد ، حتى خيم الخمول على كل جانب ، وانتشر الجور في البلاد العثمانية انتشاراً هائلا ، ووضعت الجاسوسية والمراقبـة ، واخذ طاعون اهل التجسس والرقابة يفتك بالاحرار فتكاً ذريعاً ثم تناول غيرهم ولو لم يكن لهم فكر سام ولا رأي عال يطلعانهم على ماينويه اولئك الاحرار الكرام من اصلاح المملكة والانافة بها على ذروة الفلاح . بل بلغ من شرّ هؤلاء الاوباش انهم خلطوا الحابل بالنابل والحرّ بغيره ، واجروا حكم التجسس على الجميع وجعلوهم طعمة الاسماك وسكان المنفى ، وما زال شرهم في ازدياد ، حتى عمّ جورهم السهول والوهاد ، الى ان لمع نور العدل على سيوف الجنـد المظفر ،

وصاح بشير الحرية بلسان انصارها والمتفانين في حبها، فخسأ عند ذلك الباطل وذووه، ودُحر الظلم وذووه، فانقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ·

فدخلنا بعد نشر القانون الاساسي رايات نصره على البلاد العثمانية في دور جديد من الحياة وهو دور السعادة والهناء والتقدم الى الامام بحول الله وقوته · وقد كان الكتاب الاحرار في ايام الاستبداد يؤلفون المؤلفات في وصف حال العثمانيين وحال الدولة التي كانت فيها من الشقاء العام والتأخر التام · اما بعد انقضاء ذلك الدور ودخولنا في الدور الثاني فلا بد لنا من مؤلف يصف الحالتين ويقابل بين الدورين، تُذكر فيه سيئات الدور البائد واعمال رجاله، وحسنات الدور الحالي وما ستؤول اليه الدولة وابناؤها من حسن المستقبل وبعد الصيت · وقد ألفى هذه الضالة المنشودة ووفى هذا الامر المهم الاستاذ سليمان افندي البستاني احد نواب بيروت في مجلس الامة « المبعوثان » وفي ذكره غنى عن وصفه

الف كتابهُ الذي سماه « عبرة وذكرى او الدولة العثمانية قبل الدستور وبعده » فوفى المقام حقهُ واجاد فيما تكلم عنه ايما اجادة · وقد افتتحهُ برسم شهيد الوطن والحرية مدحت باشا شهيد الطائف · والى روحه الطاهرة اهدى الكتاب، وقد تكلم فيهِ عن الدستور القديم وعن الدستور الاستبداد والدستور والحرية بانواعها وعن التعصب وعن الدستور ورجال الدين والدستور وموارد الثروة وفيهِ ابحاث جمة غير ذلك كلها جديرة بالمطالعة، وهو مطبوع طبعاً متقناً على ورق جيد بالقطع الكامل، ويطلب في بيروت من المكتبة العمومية لصاحبها سليم افندي ابراهيم صادر وثمنه في بيروت ثلاثة فرنكات ويضاف اليها نصف فرنك اجرة بريد للخارج وربما ننقل للقراء الكرام شيئاً من فوائده في العدد الآتي

مجلس النواب وشكل الادارة

في الدولة العثمانية

الانقلاب نتيجة طبيعية لدهاء الساسة العثمانيين في القرن الغابر والحاضر · شكل الادارة القديمة · تقليد العثمانيين لملوكهم في البأس والشجاعة والقصف والخلاعة · الديوان الهمايوني مصدر السلطة · حضور السلاطين اليه · احتجاب الفاتح ومن بعده فيه · امتناع سليمان القانوني ومن بعده عن الحضور اليه الا في المواسم عدالة هذا الديوان · طروء الخلل عليه · اقتحام صدر اعظم تلقي الدولة الصدمات والملمات الوزراء سلاطين ثانويون القرن الثامن عشر خاتمة الاستعباد البشري · انبثاق فجر الحرية من فرنسا · الثورة الفرنسوية مصدر الدساتير · السلطان سليم الثالث اول من ادخل التمدن الاوروبي الى البلاد العثمانية · العلوم والمعارف (مضرة) معاصرة السلطان سليم الثالث لنابليون الاول خلع السلطان سليم الثالث وخنقه خط كلخانه · اعلان القانون الاساسي · الغاؤه اطفاء نور المعارف ثلاثين سنة · سطوع بارقة الحرية من شواهق جبال رسنه اللطيفة

معربة للنبراس

بقلم

الشيخ محي الدين الخياط

طلب مني صاحب هذه المجلة ان اعرب للنبراس هـذه المقالة التركية الحافلة ففعلت بيد اني رأيت بعض المواضع منها قاصراً مبهماً فتصرفت فيه تصرفاً متفاوتاً حسب ما يسمح المقام لكن لم اخرج عن حد الايجاز الذي رسمه لها كاتبها التركي ثم بعد التعريب رأيت ان اضع لها فهرساً يجمل كل مواضيعها حتى يظن من قرأه انه قرأ المقالة بجذافيرها واليك التعريب

ان الانقلاب العثماني السلمي الباهر الذي اعقبه افتتاح مجلس الشورى او نواب الامة قد رفع اسم العثمانية والعثمانيين وسطر لمدنيتهم وتاريخهم حسنة من حسنات المدنيين

ان هذا الانقلاب او التوفيق الباهر هو بلا مراء نتيجة طبيعيــة لدهاء احرار العثمانيين الذين جاهدوا جهاد الابطال في اواخر القرن الغابر واوائل القرن الحاضر ولا نغالي اذا قلنا ان غدة الحرية هي بنت افكارهم الثاقبة · لكن قبل ان نلمّ بعض الالمام بالحوادث الهائلة التي احدثت هذا الانقلاب العظيم في الادارة العثمانية يجب علينا ان نجيل النظر في طراز الادارة القديمة في الدولة العثمانية

كان العثمانيون في الاعصر الغابرة يقلدون ملوكهم في جميع حركاتهم وسكناتهم (شأن الشرقيين في كل حين) ولذلك كانوا نسخة ثانية عن ملوكهم

الملوك والسلاطين كانوا يفتحون الامصار ويكتسحون الاقطار ويتوغلون في الفتح والاستعمار والرعية او الامة كانت تفتح وتكتسح وتتوغل تبعاً لملوكها واقيالها

الملوك انصرفوا فيما بعد دور الفتح والفلج الى الترف والبذخ والخلاعة والامة او الرعية انصرفت بانصرافهم فامضت احقاباً من حياتها الاجتماعية بالسفادة والبذخ والقصف

البذخ والخلاعة في الملوك والرعية هما اللذان أنتجا هذا الضعف او المرض الاجتماعي الذي انهك جسم الامة وسفل من طبائعها حتى تدهورت في تيه عظيم من الانحطاط الاخلاقي والسياسي

الادارة السياسية في الدولة العثمانية هي منذ القديم ادارة مركزية ومركز هذه الادارة (الديوان الهمايوني)

الديوان الهمايوني هذا كان مصدراً او محوراً لجميع القرارات الادارية التي تدار عليها ارجاء المملكة ومن هــذا المركز الوحيد كانت تتوزع القرارات على جميع الولايات وكان السلاطين يحضرون هذا الديوان بالذات ويتناقشون فيه مع الوزراء ويتبادلون معهم الآراء الى زمن السلطان محمد الفاتح

السلطان محمد الفاتح هذا هو اول من احتجب في الديوان المشار اليه واسباب

ذلك على ما رواه التاريخ : ان احد الاتراك الاعراب (الاعراب سكان البوادي ولو كانوا اكراداً) جاء الى هذا الديوان في مسئلة تهمهُ وخاطب الديوان بهذه الالفاظ التركية الغليظة (دولتلو خنكار قنقو كزدر شكايتيم وار) اي من حكم السلطان صاحب الدولة فان لي شكوى ثم خاطب الفاتح ببعض كلمات جافة تأثر منها الفاتح وشرع منذ ذلك الحين يسمع مذاكرات الديوان من وراء حجاب وسار على اثره السلاطين

ثم بعد حقبة من الزمن (يعني في ايام السلطان سليمان القانوني) امتنع السلاطين عن حضور الديوان الهمايوني بتاتاً بيد انهم كانوا يحضرون فيهِ عند تقسيم الرواتب واستقبال السفراء فقط

ان الهيئة الادارية المركزية التي كان يتألف منها الديوان المذكور هي : رئيس الكتاب . مشايخ الديوان . رئيس الجند . بعض اعيان المملكة . وكانت السلاطين تستصحب هذه الهيئة معها في الاسفار والحروب!!!

ان هذا الديوان كان مصدر العدالة « كما كان مركز الادارة » اذ كان لا تأخذه في اقامة القسط والعدل بين الرعية لومة لائم وقد ظل قائماً بالقسط بين الناس حتى آخر دور السلطان سليمان القانوني واول دور السلطان محمد . ومن بعد ذينك الدورين سرت بين اعضاءه جراثيم الداءين داء الرشوة وداء الظلم اذ ظلع اليهِ من لا يميز بين الظالع والضالع . وبعبارة اصرح : ظل هذا الديوان يضم بين جدرانه ارباب الاقتدار النزيهين المحنكين الجديرين بادارة الملك وظل يحمي هذا الملك من عبث العائثين الى دور مبتدع القوانين

ثم بعد ذلك الدور طرأ الهرج والمرج وساد الاختباط والاختلاط في التنصيب والتوظيف حتى اصبح الصعود من احقر المراتب الى اعلاها دفعة واحدة من الامور المباحة .. وحتى اصبح يرتقي الى منصب الصدارة من نشأ بين الفحم ....

ساد الاختباط والاختلاط وساد معهما الضعف والوهن في جسم الدولة وشرع هذا الجسم يتمرغ في حمأة الجهالة والسفالة ويتلقى اللطمات والصدمات القاسرة ويئن تحت نير المتغلبين المسيطرين واصبحت الامة العثمانية تتأثر بتأثرات هيئتها الحاكمة وتتشاءم بتشاؤمها اذ اصبحت صورة منعكسة عنها .

اصبح ضعفاء الطبع والارادة من الملوك يصدرون الاوامر بقتل امثل رجل الدولة واقدرهم

— اصبح الوزراء اشبه بسلاطين ثانويين بما كانوا عليه من البذخ والترف والسيطرة والغرور

— اصبح العقلاء يهمسون في نجواهم بان هذه الادارة الجائرة لا تعمر كثيراً لمخالفتها نواميس العمران وطبائع الوجود

اصبح هؤلاء العقلاء يترقبون خاتمة لدور الاستعباد البشري وما هو الا ان صدق الوجود ترقبهم وانبثقت طلائع النور الاول المنبعث عن انفلاق فجر الحرية الصادق الساطع من اعالي جبال البيرينية وما ذاك الا لان استبداد الملوك في فرنسا وغيرها من الممالك الغربية قد وصل الى درجة ضاغطة قاسرة اصبحت تنوء بالبشرية وشرع قلب كل انسان ذي وجدان تظهر منه آثار الاستعداد والقابلية لتلبية العواطف الانسانية المنادية باسم (الحرية البشرية)

القرن الثامن عشر هو بلا ريب خاتمة الاستعباد البشري

لثورة الفرنسوية الكبيرة هي التي اظهرت هذه الدساتير كلها ولكن على صفحات مكتوبة باحرف الدماء البشرية

ان نور الحرية كان يدخل الى غيابة سجن (الباستيل) الحالك من اقنية الدماء الجارية منه

ان البشرية المسكينة قد تملصت في ذلك الحين من جميع قيود الاستبداد

ان اول من اراد الاستفادة من نتائج الحرية البشرية التي استعادهـا احرار الفرنسويين الجديرون بان يسموا (محرري البشرية) هو السلطان سليم الثالث

ان العثمانيين لم يكونوا في ذلك العهد مرتقين الى درجة تؤهلهم لان يتلقوا العلوم الحديثة بالقبول وما ذلك الا لانهم اضاعوا في خلال تلك الاحقاب التي مرت عليهم بالفوضى والظلم والارتكاب خلاصـة اخلاقهم ولباب مزاياهم ولذلك عدوا المعارف المدنية « مضرة » وشرعوا يظهرون النفرة من كل علم مفيد

بيد ان السلطان سليماً الثالث لم تقف في وجهـهِ تلك الحوائل فشرع ينشيء المكاتب المنظمة ويفتح معاهد العلم على قصد تنوير الافكار ومن جملة انشاآتهِ مكتب الهندسة الشهير (مهند سخانه)

ومن جملة من كانوا سبباً في نشر العلم بين اظهر العثمانيين ابناء شاني والشيخ اسحق وغيرهم فان هؤلاء الافاضل قد اشتغلوا بترجمة الآثار الغربية النفيسة ونقلوا الى التركية عدة مؤلفات في الفنون العسكرية وفي الفلسفة والتاريخ

ان السلطان سليم الثالث جمع بين مزيتين المزية الأُولى صرف همته الى تربية الافكار والثانية صرف تلك الهمة الى تعزيز الجيش الذى هو السياج الوحيد للوطن

ان معاصرة السلطان سليماً الثالث لنابليون الاول الذي كانت جيوشه تغزو البلاد الاروبية وتكتسحها مع ماناله هذا الامبراطور من الفلج والظفر بسبب جيشه قد كانت العبرة الوحيدة بل السائق الحثيث الذي استحث السلطان سليماً الى تجنيـد جيش منظم

جند السلطان الجيش على النظام الجـديد فازورَّت عين الينكيچرية وشرعت تناصب الجيش المنظم العداوة والبغضاء ثم انقلبت البغضاء الى شحناء عظيمة كانت كالاتيّ المندفع وكانت نتيجة اندفاعها خنق السلطان سليم الثالث بعد خلعه بايعاز السلطان مصطفى وذلك بصورة فظيعة خائنة

الينكجرية شراذم عسكرية عاثت في البلاد العثمانية زمناً طويلاً ولم يتمكن من استئصالهم بعد السلطان سليم الثالث الا السلطان محمود وقد جند بدلاً منهم جيشاً منظماً على الاصول الحديثة لذلك العهد

ثم لما جلس السلطان عبد المجيد والد السلطان عبد الحميد الحالي ظهرت طلائع النجاح بتغييره الادارة القديمة بالادارة الجديدة واعلانه خط (كلخانه) الشهير القاضي بالاصلاحات

ان نشر خط (كلخانه) في ذلك العهد جعل المؤرخين يعدون زمن السلطان عبد المجيد صفحة زهراء في التاريخ العثماني

ان نشر خط (كلخانه) المذكور عدّه الغربيون لذلك العهد دليلاً ناصعاً على مجاراة العثمانيين لسنن الارتقاء

ان نشر خط (كلخانه) فتح الطرق للمدنية الاوربية فصبحت تدمر « تدخل بغير استئذان » على البلاد العثمانية بلا حواجز ولا حوائل

ان الفضل كل الفضل لانهاض الامة العثمانية والسير بها في طريق الارتقاء في ذلك العهد هو عائد لرشيد باشا وعلي باشا ثم لفؤاد باشا

ثم مرّ عهد السلطان عبد العزيز على شكل يشبه من بعض الوجوه العهد الذي قبله فلا نطيل به

ثم جاء عهد السلطان مراد وكان فكر النهوض ومجاراة الامم الحية قد استوى على سوقه واخرج شطأه وكان يتعهده لذلك العهد فكر السياسي الشهير مدحت باشا فنما وازهر

ثم خلع السلطان مراد وجلس السلطان عبد الحميد وكان كيل الميل الى تغيير شكل الادارة الاستبدادية القديمة واتباع اصول الادارة الدستورية المتبعة في اوربا قد طفح « وقال قطني » فنتج عنهُ أن أُعلن القانون الاساسي في البلاد العثمانية

للمرة الأولى بصورة باهرة

* * * *

ثم أُلغي القانون الاساسي باستبداد احتيالي وبعد الغائه رزحت الامـة تحت اعباء المظالم وظلت تئنُّ تحت تلك الاعباء والارزاء زهاء ثُلث قرن

كان اول عمل عملته الادارة البائدة لترك الامة تائهة في ظلام الجهل الحالك اطفاءها نور المعارف من جميع البلاد العثمانية وسدها جميع الكوى والمنافد التي يمكن ان يدخل منها بريق نور خارجي

اطفأت الهيئة البائدة نور المعارف وشددت الوطأة على المطبوعات حتى اصبحت الجرائد رُبابة ثناء والكتب صنّاجة دعاء

اطفأت الهيئة البائدة نور المعارف لكنها خدعت الاغرار الاغمار فاقدي الوجدان برتب واوسمة شغلتهم بها عن الاشتغال بمثالبها، واما اصحاب الوجدان الصحيح والعلم الحقيقي فقد القت بعضهم في غيابات السجون وشرّدت ببعضهم نفياً في اقاصي الارض حتى مات معظمهم صبرا

اتى على العثمانيين ثُلث قرن من الدهر لم يكونوا فيـه شيئاً مذكوراً اذ مضت حياتهم في مظالمه المتوالية وهم اشبه بميت الاحياء

اتى على العثمانيين ثُلث قرن من الدهر كان يمكن فيه ان تدخل انوار المدنية الغربية الى كل ناحية من انحاء بلادهم، وكان يمكن ان تكون ساحة الوطن روضة غناء ولكن ماذا كان بدلاً من ذلك ؟؟

— كان بدلاً من ذلك أن امتلأ الوطن بالوف من اليتامى المحنية اعناقهم من الذل

— كان بدلاً من ذلك أن امتلاء الوطن بالوف من الايامى الكواعب المفصولة عن خطابها

— كانَ بدلاً من ذلك ان امتلأ الوطن بالوف من الامهـات المشتتة والآباء المرمة المقتولة اولادها او افلاذ اكبادها في ظلامات السجون

– كان بدلاً من ذلك ان امتلأ الوطن بالوف من المظلومين، بأوف من المنكوبين

– كان بدلاً من ذلك ان اصبحت القسطنطينية التي كانت تهزج في ايام السلاطين العظام بانغام الفتح والفلج، والتي كان يسمع لهزيج ضفرها صوت يطرب الآفاق تئن بصوت الاسى والحزن انين الثكالى، بل اصبحت تصخب بصوت مؤلم ينبعث من اعماق القلب حتى ضج الفضاء من ذلك الصراخ الهائل، وحتى حكمت الايام بوضع حدّ لتلك الرزايا والبلايا، وقضت بتقويض ذلك البناء الاستبدادي الذي هدم كيان الامة بمعول اصلاح يُقوّض جدرانه وينقذ تلك الامة المسكينة التي كانت تئنّ تحت اعباء المظالم الفادحة الفاضحة

ان الشعور بضرورة هدم ذلك البناء قد دخل كل مكان «فصادف قلباً خالياً فتمكن»

ان الشعور بضرورة هدم البناء قد شعر بهِ الاطفال فضلا عن الرجال، اذ كان اليتامى منهم يدعون باكين نادبين، ناقمين على كل من سبب للأُمة تلك المظالم القاضية بالانقراض

ان الشعور بهدم ذلك البناء قد اصبح سمر السامرين وحديثهم

في خلال هذا الشعور او ذلك الحس لمعت من شواهق جبال رسنه اللاطيفة بارقة حرية كانت كالكهربائية سارت في كل ناد، وسرت الى كل فؤاد

ان العيون الباكية، والقلوب الدامية، كلها تنظر انظار الانعطاف الى ذلك اليوم التاريخي العظيم

– ان غليان النار الصاعد بخاره من قلب الامة قد انقلب في الحال الى طوفان خلاص امتد الى كل ناحية من نواحي الوطن

فيجب على كل عثماني ان يحافظ على قانونهِ الاساسي ومجلس نوّابه الى ان يُسيل آخر نقطة من دمهِ الحي

كامل باشا في مجلس الامة

« المبعوثان »

تولى كامل باشا الصدارة لهذا العهد والحالة فوضى في احرج الاوقات فعمل بحكمته و رويته المشهورتين وسكن الامور وهدأ الاحوال حسب الطاقة ، وقد اتخذ من الادارة والتدبير ما يحمده عليه كل منصف ، وقد شيع انهُ ستسقط وزارته بعد التئام المجلس بدعوى انه لا يصلح لهذا المنصب الجليل . فلما التأم المجلس ورأى الراغبون في اسقاطه ان منصبه ثابت موطد الاركان بذلوا الجهد لعرقلة مساعيه وايقاف حركاته ، واخذوا يرجفون الاراجيف ليثيروا الشعب ضده فاختلقوا مسألة كريد وان اليونان ترغب في ضمها الى املاكها ، واخذت بعض الجرائد تكتب بلهجة شديدة لتحبط اعماله ، وطفقت تذكر الاسباب الدالة على عدم كفاءته ، غير له هناك احزاباً تعمل على تثبيته ونصره وجرائد تدافع عنه الدفاع العظيم .

وكان مجلس الامة شطرين شطر يريد ابقاءه وفي جانبهم نواب العرب ، وشطر يرغب في اقالته ، وكان بعض هذا القسم يطلب بالحاح من الوزارة بيان اعمالها وسياسة الدولة الداخلية والخارجية عسى بذلك يتوصلون الى ما ينوونه من اسقاطها . غير ان المجلس قرر باكثرية الاصوات او كلها تقريباً تثبيت الوزارة

وقد حضر كامل باشا الى مجلس الامة بعزم ثابت وجأش قوي ، وخطب خطاباً ادّى فيه البيان الكافي عن كل عمل قامت به الوزارة فكان لبيانه وقع حسن في نفوس المستمعين ، فلم يسع الناقمين عليه الاَّ الانصياع الى الرأي العام . وقد شهدت لكامل باشا جرائد العالم واثنت على خطته السلمية وشكرت له اعماله وما اتاه في ذلك الموقف الحرج من الصنع الجميل والآراء الصائبة

وقد اطلعنا على مقالة الشمس التي وصفت فيها كامل باشا وخطابه في مجلس الامة

مبيناً فيه ما طُلب منه وها نحن ننشرها حسب ترجمة «الجريدة» . قالت :

تلا الصدر الاعظم بالامس في البرلمان العثماني خطبته التي كان قد وعد بالقائها ولتي كان الناس متشوقين لاستماعها ،فصفق له النواب تصفيقاً حاداً، ودوت قاعة المجلس باصوات الاستحسان،ثم اجمعوا في النهاية على الثقة بخطة الحكومة الخارجية والداخلية فكانت هذه الحادثة اعظم ما شاهدته الاستانة في جميع اطوار تاريخها العظيم ، فمن ذا الذي كان يدور بخلده منذ ستة شهور انه لن يمر من العام الجديد بضعة اسابيع حتى يقف الصدر الاعظم عارضاً سياسة الدولة على نواب الامة المنتخبين في مجلس نيابي . لا ننكر ان تلك المدينة مدينة القياصرة والسلاطين مرت عليها انقلابات وثورات عدة، ولكنها لم يسبق لها عهد بمثل هذا الانقلاب،فقد كانت الانقلابات السابقة تحدثها السلاطين ولكن هذا الانقلاب احدثته الامة وعمت نتائجهُ الامة باسرها بلا تمييز بين العناصر او الاديان . اصبحوا متساوين امام القوانين فيما لهم من الحقوق واصبحت واجباتهم جميعاً نحو وطنهم واحدة ،فمن لنا بمن يكشف عن مخيلة ذلك الشيخ الجليل (الصدر الاعظم) اذ كان يستمع لتصفيق سامعيه وتهليلهم من مسلمين ومسيحيين وترك ويونان وعرب والبان؟ فان ذلك السياسي ولد قبل ان تنتزع من تلك الدولة الضخمة التي فتحتها رماح الفاتحين المسلمين مقاطعةٌ من المقاطعات المسيحية،وكان منذ نشأته ميالاً للاصلاح ولكن لم يكن هو الموجد للاصلاح بل السلطان محمود ذلك الذي كان يرمي وراء تغيير النظام العسكري وتنقيحه وجعله على الطراز الحديث، ولقد وقعت في ذلك العهد حادثة اذا ذكرناها، عرفنا الحوادث التي مرت على كامل باشا في حياته ومقدار خبرته،اعني بها ذبح الانكشارية ، فمثل الانقلاب الذي رآه كامل باشا في حياته لم يوفق الى رؤيته الا القليلون . اما خطبتهُ فقد كانت تشفُ عن الرزانة والوقار والتحفظ اتى فيها على وصف الانقلاب الغريب وعلى تأثير هذا الانقلاب في الممالك الاجنبية بدون اطناب في المديح والاطراء، فقد ذكر جمعية

الاتحاد والترقي واعمال رجالها الذين خاطروا بحياتهم. فأقروا نير الاستبداد واستبدلوا به الشورى بما تستحقه من الشكر · ولم ينس ذكر جلالة السلطان بالمدح لانصياعه لمطالب هذه الجمعية ، وهذا وان كان لا يرضي بعض الغربيين الا ان ذكره من السياسة ، لان كامل باشا كان يخاطب شعباً اعتاد ان يقدس بيت آل عثمان تقديساً يكاد يشبه العبادة · وهو لواسع اطلاعه وخبرته بشؤون تركيا عالم بما امام البرلمان من المصاعب فقد شفت خطبته عن علمه بحقيقة الحالة بان خص بالذكر المصاعب المالية وضرورة اصلاحها ، ولكنه في لوقت نفسه كان ثابت الجأش قوي العزيمة ، قال انه لا بد من عقد قرض ومن ايجاد سبل اخرى يزيد بها الايراد ، ولاجل ان يتيسر عقد القرض وايجاد الثقة في قلوب المموّلين تحتم المبادرة باصلاح النظام المالي وسلوك مسلك سلمي داخل البلاد وخارجها ، ثم عطف على إباء المموّلين الانكليز إقراض الترك في السنين الاخيرة واتى على اسبابه واعرب عن امله في ان يزاولوا موآزتهم لهم كما بدأ يفعل المموّلون الاوروبيون ليتمكنوا من طرق ابواب كنوز البلاد وموارد ثروتها ، وهو امر لا بد ان يتحقق اذا اصلحت المالية العثمانية على الوجه الذي يريده الصدر الاعظم

واهم مايلفت الانظار في خطبة الصدر الاعظم ما يتعلق منها بالسياسة الخارجية وهو سلمي معتدل في لهجته وعبارته ، فلا هي تجلب سخط دولة من الدول ولا هي تتزلف لاحداها · ويهم الانكليز بنوع اخص ما جاء في عبارته من ان الصداقة القديمة بين الامتين « الانكليزية والتركية » قد عادت الى مجاريها وثبتت ، ولا غرو فان كامل باشا لم ينس بعد ما كان من صداقة ساسة الانكليز والامة الانكليزية للترك قديماً ، والرجل مسنّ ورأى ان تلك الصداقة دامت اجيالاً ، كما انه يعرف ان انقطاع هذه الصداقة وفتورها قبل اعلان الدستور لم يكن الا لبغض النظام الاستبدادي الذي كانت ترسف فيه البلاد · واملنا وطيد في دوام هذه الصداقة وان لا تعود الى الانقطاع او الضعف

وجاء الصدر الاعظم على ذكر علاقة دولته بالنمسا بعبارة واضحة جلية لا تحرج

الصدور ، ووعد المجلس بان المسئلة ستنتهي عن قريب بحل مرضي ، واعرب عن سروره لانصياع لصرب والجبل الاسود لنصائح الدول ، وقال انه قد زال بذلك خطر من الاخطار التي كانت تتهدد السلام وتنذر بحرب عاجلة ، كما اعرب عن امله كذلك في حل مسئلة كريد . وفي الوقت نفسه شهد للحكومة اليونانية خيراً ونفى ما علق بالاذهان من عداء خطتها

ثم اختتم خطابتهُ بعبارة عن نتائج الانقلاب العثماني ومركز تركيا الدولي تستدعي اعجابنا لايجاز عبارتها من جهة ومتانة معناها وسعته . قال :

« ان اعلان الدستور قد حمل الدول على اعتبار تركيا ضمن جسم اوربا السياسي واعلى بفجأة رتبة الدولة العثمانية بين الدول »

فان كانت رتبة الدولة قد علت باعلان الدستور فقد ازدادت علوًّا بخطابة الصدر الاعظم .

فنحن نهنئهُ هو والبرلمان العثماني على هذه الحادثة التي لم يسبق لها مثيل في تاريخ دولتهم ولا في تاريخ الانسان اه

فكاهات ولطائف

الحسنة بعشر امثالها

طلب بعض الخلفاء شعراء مصر ، فصادفهم شاعر فقير بيده جرّة فارغة ذاهباً بها الى البحر ليملأها ماء ، فتبعهم الى ان وصلوا الى دار الخليفة ، فبالغ في اكرام والانعام عليهم ، ورأى ذلك الرجل والجرة على كتفهِ ، ونظر الى ثيابه الرثّة وقال له : من انت وما حاجتك ؟ فانشد :

ولما رأيت القوم شدوا رحالهم الى بحرك الطامي اتيت بجرّتي

فقال الخليفة: املأوا له الجرة ذهباً وفضة ، فحسده بعض الحاضرين وقال : هذا فقير مجنون لا يعرف قيمة هذا المال وربما اتلفهُ وضيّعه . فقال الخليفه : هو ماله يفعل به ما شاء . فملئت له ذهباً وخرج الى الباب ففرّق جميع ما فيها . وبلغ الخليفة ذلك فاستدعاه وعاتبهُ على ذلك فقال :

يجود علينا الخيّرون بمالهم　　ونحن بمال الخيّرين نجودُ

فأعجبهُ ذلك . وامر أن تملأ له عشر مرات . وقال : « الحسنة بعشر امثالها »

* * *

فائدة الاجتماع والتضامن

دعا اكثم بن صيفي اولاده عند موتهِ ، فاستدعى إضمامه[1] من السهام ، فتقدم الى كل واحد منهم ان يكسرها ، فلم يقدر احد على كسرها . فقال : كونوا مجتمعين ليعجز من ناوأكم[2] عن كسركم كعجزكم عن كسرها مجتمعة ، فانكم ان تفرقتم سهل كسركم . وانشد :

كونوا جميعاً يابنيّ اذ اعترى　　خطب ولا تتفرّقوا آحادا
تأبى القداح[3] إذا اجتمعن تكسراً　　واذا افترقن تكسرت افرادا

* * *

الايام دُوَل

كانت خرقاء بنت النعمان بن المنذر اذا خرجت الى بيعتها يفرش لها طريقها بالحرير والديباج مغشّى بالخز والوشي، ثم تُقبل في جواريها حتى تصل الى بيعتها وترجع الى منزلها . فلما هلك النعمان نكّبها الزمان فأنزلها من الرفعة الى الذلة . ولما وفد سعد بن ابي وقاص الى « القادسية » اميراً عليها بعد ان هزمت الفرس وقتل رستم أتت خرقاء بنت النعمان في حفدة من قومها وجواريها وهنّ في زيها ، عليهن المسوح والمقطعات

(١) الاضمامة : الجماعة والحزمة . والسهام : النبال (٢) ناوأكم : عاداكم (٣) القداح : السهام قبل ان يوضع فيها النصل ويلزق عليها الريش

السود تطلب صلتهُ ، فلما وقفن بين يديهِ انكرهنَّ سعد فقال : أيكن خرقاء ؟ قلت: ها انا ذه ، قال : انت خرقاء ؟ قلت : نعم فما تكرارك في استفهمي ؟ ثم قالت

« ان الدنيا دار زوال ، ولا تدوم على حال ، تنقل اهلها انتقالاً ، وتعقبهم بعد حال حالا ، كنا ملوك هذا المصر ، يُجبى الينا خراجه ، ويُطيعنا اهله مدى المدة و زمان الدولة ، فلما ادبر الامر وانقضى صاح بنا صائح الدهر فصدع عصانا ، وشتت شملنا ، و كذلك الدهر ياسعد ، انهُ ليس يأتي قوماً بمسرة ، الا و يعقبهم بحسرة . ثم انشأت تقول :

فبينا نسوس الناس والامر امرنا　　اذا نحن فيهم سوقة ليس نُعرفُ
فأفٍّ لدنيا لا يدوم نعيمها　　تقلّب تاراتٍ بنا وتصرّف

فقال سعد : قاتل الله عدي بن زيد كأنهُ ينظر اليها حيث يقول :

ان للدهر صولةً فاحذرنها　　لا تبيتنَّ قد امنتَ الدهورا
قد يبيت الفتى معافى فيردى　　ولقد كان آمناً مسرورا

فبينما هي واقفة بين يدي سعد اذ دخل عمرو بن معد يكرب وكان زوّاراً لأبيها في الجاهلية ، فلما نظر اليها قال : انت خرقاء ؟ قالت : نعم ، قال فما دهمك فأذهب بحوادث شيمك ؟ اين تتابع نعمتك ، وسطوات نقمتك ؟ فقالت : « ياعمرو ان للدهر عثراتٍ وعبرات ، تعثر بالملوك وابنائهم فتخفضهم بعد رفعة ، وتفردهم بعد منعة ، وتذلُّهم بعد عزّ . ان هذا الامر كنا ننتظره ، فلما حلّ بنا لم ننكره »

قالوا : فاكرمها الامير سعد بن ابي وقص واحسن جائزتها . فلما ارادت فراقهُ قالت : حيّ اختك بتحية ملوكنا بعضهم بعض . لا نزع الله من عبد صالح نعمة الا جعلك سبباً لردها عليه .

ثم خرجت من عنده فلقيها نساء المدينة فقلن لها : ما فعل بكِ الامير ؟ قالت : اكرم وجهي . انما يكرم الكريمَ الكريمُ .

متفرقات

اصطناع الثياب من الاخشاب

لما كثرت حاجات الانسان و « الحاجة أمُّ الاختراع » قضت عليهِ الاحوال والضرورات بتغيير اذواقه ومشاربهِ وعاداتهِ ورغائبهِ وحدابهِ حب التقدم الى تحسين الصناعة والتجارة والزراعة فتوفرت له اسباب الاكتشافات والاختراعات ومهد له الزمان سبل العمران فتأنق بالمآكل والمشرب وتفنن باتقان مواد الثياب على اختلاف اجناسها واصنافها واكثر من الازياء في ضروب الكساء كما تفنن في غيرها من لوازم الحياة ومطاليب المعيشة حتى ان الناس لتقدمهم في العلم والصناعة كادوا ان يستخرجوا من كل شيء فائدة · فصنعوا من الياف القنّب مناديل واطواقاً واقمصة وغيرها ولم يقفوا عند هذا الحد بل صنعوا اقمشة من بعض انواع الخشب لا تقل عن الاقمشة الصوفية متانةً ولا تنقص عن المنسوجات الحريرية رونقاً وذلك انهم يحطمون الخشب ويسحقونهُ الى ان يصير دقيقاً ثم يمزجونهُ بمواد لزجة و يضعونهُ في آلة ذات ثقوب فينزل هذا السائل من ثقوبها خيوطاً قطر الخيط منها نحو نصف قيراط ثم يقسمونها الى خيوط دقيقة يجففونها ويفتلونها فتلاً شديداً متقنا يزيدها دقة ثم ينسجونها لحمة او سدى مع صوفٍ نسجاً متيناً يخيط منهُ اليوم ارباب المعامل اثواباً ولا يستبعد ان التجار تشتريه كما يشترون غيره من الاقمشة و يبيعونهُ كذلك فتأمل وتعجَّب

اكثر مدن العالم بياضا

لا مدينة اشد بياضاً من مدينة «قادس» ما لم تكن مبنية الثلج فانك حين تقرب من الشاطئ ترى امامك جسما ابيض تخاله طافياً على وجه المياه واول مايظنهُ الغريب انها كتلة كبيرة من الجمد تتلألأ في الشمس تلألؤاً يبهر النظر كأنها جبل من صافي البلور تظهر بعض القصور عليهِ · ولا يعتم ان يعلم ان ذلك مدينة قادس التي لا يضاهيها مدينة في العالم في ذلك المنظر السحري «النشرة»

مطبوعات وجرائد جديدة

الوطن او سلسترة

المرحوم محمد نامق كمال بك هو من الاحرار المشهورين واكتب كتاب الاتراك واشدهم تأثيراً وهو الذي قلب او ضاع اللغة التركية وجعلها على اسلوب جديد وغط قشيب ، كما انه قلب القلوب وغير حركة الافكار بافكاره السامية وكتاباته البليغة المؤثرة في الافئدة والعواطف ، وله مؤلفات كثيرة كلها في غاية الجودة كما يشهد بها ابناء هذه اللغة والمطلعون عليها ، ومن اشهر هذه المؤلفات رواية « الوطن او سلستره » التي ترجمت الى اللغات الالمانية والروسية والافرنسية من قبل وترجمت الى العربية اليوم بقلم الشيخ محيي الدين افندي الخياط

مثلت هذه الرواية بعد اعلان الدستور باللغة التركية في اشهر الولايات العثمانية كسلانيك واستانة ودمشق وبيروت وغيرها ، فكان لهـا من حسن الوقع وشدة التاثير في النفس ما ادهش الالباب حتى على الذين شاهدوها ولم يعرفوا من اللغة التركية شيئاً يذكر ، فان ما فيها من المشاهد والمناظر والترتيب شيء يبهر ، وقد ذكرت الصحف ان بعض من شاهدها في استانة قُضيَ عليهِ من شدة تأثيرها فيه

وقد رغب البعض الى الشيخ محيي الدين افندي المذكور ان يسبكها بقالب عربي ثم يظهرها على مراسح التمثيل كيلا يحرم فوائدها الادبية والوطنية من لم يكن مطلعاً على اللغة التركية فاجاب وترجمها بلغة عربية فصيحة سليمة وقد نظم لها بعض القصائد والاغاني المناسبة للموضوع فجاءت رواية مهمة يجدر بكل محب للوطن والادب الاطلاع عليها ، وربما مثلهـا مترجمها في بيروت في احدى دور التمثيل وانا نحثه على ذلك . وقد صُدّرت الرواية بملخص ترجمة كمال بك منقولاً عن مجلة الهلال . وربما نثبت ترجمته في العدد الآتي

وقـد اردف الرواية بقصيدة « صوت الوطن والحرية » التي نظمها كمال بك

وترجمها بالعربية شعراً مترجم هذه الرواية ، وهي القصيدة العصماء التي حازت استحسان الجمهور ، ويوجد منها نسخ مطبوعة على انفراد في المكتبة الاهلية اما ثمن الرواية فمن الورق الجيد ٥ قروش ومن غيره ٤ قروش وقد التزم هذه الطبعة الافنديان سليم عمر هاشم وكمال بكداش . وهي تطلب في بيروت من ادارة مجلة «المنقد» والمكتبة الاهلية وسائر مكتبات بيروت . وفي الشام من المكتبة العلمية في سوق المسكية

دروس القراءة

لما كانت كتب القراءة على الطريقة الحديثة نادرة والحاجة اليها شديدة دعت الغيرة الشيخ محيي الدين افندي الخياط ان وضع كتاب على اسلوب مستحدث يسهل على المعلم تعليم الاطفال وعلى المتعلم البراعة في القراءة في وقت قصير ، فوضع دروس القراءة وقسمه الى اربعة اجزاء وقد طُبع منها القسم الاول والثاني بنفقة الشيخ محمد شاكر افندي ياسين . والكتاب من خيرة الكتب المدرسية وهو مطبوع على ورق جيد وحرف جميل فنرغب الى اصحاب المدارس الاعتماد عليه ، وهو يطلب من طابعه والمكتبة الاهلية في بيروت وثمن القسم الاول منه قرش وربع قرش وثمن القسم الثاني قرشان وربع قرش

المفيد

جريدة وطنية علمية سياسية يومية تصدر في بيروت ، مدير سياستها حسن افندي بيهم وصاحبها عبد الغني افندي العريسي وقد ورد الينا منها حتى الآن بضعة اعداد فتصفحناها فاذا هي مملوءة بالمقالات السياسية والادبية والتهذيبية والاجتماعية والاخبار الرائقة المنتقاة ، وهي مكتوبة بقلم سلس مفيد ، فنرحب بها ونرجو لها التوفيق وبدل الاشتراك فيها اربعة ريالات مجيديات في بيروت وليرة عثمانية في سائر الجهات

لسان الاتحاد

جريدة اسبوعية سياسية عمرانية اصدرها في بيروت مديرها ومحررها فليكس افندي فارس لخدمة جمعية الاتحاد والترقي ، وقد جاءنا منها العدد الاول مشتملاً على المقالات

الادبية والافكار العصرية والاخبار السياسية وغير ذلك من الفوائد الجديرة بالاطلاع عليها وقيمة الاشتراك فيها ريالان مجيديان في بيروت وثلاثة ريالات في سائر الممالك العثمانية واربعة ريالات في الخارج فنحث القراء والمتأدبين على الاقبال عليها

معروف افندي الرصافي

كل من كان يطالع مجلة المقتبس الغراء كان يجد في كل عدد من اعدادها قصيدة عصماء مدبجة بيراع الشاعر الاجتماعي الكبير معروف افندي الرصافي، وفيها من الافكار النيرة والعواطف الشريفة والمغامز السياسية مالو اهتدى اليه جواسيس الدور السابق لم يكن جزاء لناظمها الا ان يُهدى طعمة سائغة لاسماك البوسفور ، ومع ذلك كان ينشرها غير هياب سطوة الظالمين ولا حيف الطاغين ، حتى بلغ الامر بصديقنا نعوم فندي لبكي صاحب جريدة المناظر التي كان يصدرها في اميركا انه انكر ان يكون في بغداد رجل يسمى معروفاً الرصافي ينشر هذه القصائد بل صرَّح انَّ هناك رجلا متكراً تحت ستار هذا الاسم خوف الفتك به من رجال الدولة الهالكة ، فكُتب اليه بتحقيق وجوده، وان الرصافي حقيقي لاخيالي فلم يقتنع بذلك

معروف افندي شاعر كبير يندر في شعراء العربية اليوم ان يكون له نظير في متانة الشعر وبلاغة الاسلوب وسبك المعاني النفيسة بقالب شعري جيد · وقد مرَّ بيروت منذ اسبوعين فزارنا فوجدنا منه فوق ما نعرفه من افكاره السامية وشعره العربي العذب رجلاً دمث الاخلاق لين العريكة نقيّ الوجدان يتقد غيرة على حال الامة ومآآلت اليه من التأخر ، وقد انشدنا كثيراً من شعره الذي لم ينشر فكنا نطرب باسلوبه في الانشاد طربنا بمعانيه الشعرية واساليبه العربية - ولم يكد ينتشر خبر قدومه في بيروت حتى هرع كثير من الادباء وارباب الصحافه للسلام عليه واستماع اشعاره الرائقة ، وكان فيما انشدنا اياه من شعره قصيدة في التربية بلغت لنهايـة من الحسن

وقد استعدناه انشادها بضع مرات في بضعة مجالس فلم تزدد الا شوقاً لاستماعها ، وقد نشرت بعض ابياتها جريدتا الوطن والبرق . واخبرنا ناظمها ان محمداً كرد علي افندي صاحب مجلة المقتبس اخذها منه في دمشق لينشرها في مجلته ، ونحن ننشرها برمتها للقراء على صفحات النبراس متى وافانا المقتبس حباً بنشر الآثار المفيدة

ولم يلبث بيننا سوى بضعة ايام ثم سافر قاصداً الى دار السعادة ليكون محرراً لجريدة «اقدام» العربية التي تصدر فيها

وقد طلبنا منه قبل سفره شيئاً من شعره الذي لم ينشر لنحلي به صفحات هذه المجلة فاجابنا الى ذلك ودفع الينا ثلاث قصائد احداها عنوانها « اليتيم المخدوع » والثانية « الحرب في البحر » يصف بها واقعة توسشيما التي انتصر فيها اليابان على الروس ، والثالثة « تنبيه اليتام » وقد نشرت هذه في جريدة « شواري عثماني » التي كانت تصدر في مصر غير انه لم يطلع عليه الا القليل النادر اذ لم يكن يطلع على هذه الجريدة الا النفر القليل ويا ويل من كانت توجد عنده . وننشر منها اليوم القصيدة الأولى قال :

اليتيم المخدوع [1]

قضى والليل معتكرٌ بهيمٌ ولا اهل لديه ولا حميم
قضى في غير موطنه قتيلاً تمجُّ دمَ الحياة به الكلوم [2]
قضى من غير باكية وباكٍ ومن يبكي اذا قُتل اليتيم
قضى غضَّ الشبيبة وهو عفٌ مطهّرة مآزره كريم

(١) السبب الذي دعا شاعرنا الى نظم هذه القصة ان رجلاً يهودياً مطرباً من حلب اسمه « سليم » خدع غلاماً مسيحياً يتيماً من اهلها واتى به بغداد فاراد منه المنكر بعض فساق اهلها واسمه « ابراهيم » فابت نفس الغلام الزكية الطاهرة ذلك فجاءه يوماً وهو سكران والغلام في نادي طرب يضمُّ المئات من الناس واطلق عليه الرصاص فسقط ذلك اليتيم المخدوع على الارض فحمل به الى مستشفى الغرباء هناك وقبض على الجاني اللعين وزج به في السجن ، فنظم معروف افندي هذه القصيدة حاكياً بها هذه الحادثة المنكرة المؤلمة (٢) الكلوم : الجروح

سقاه من الردى كأساً دهاقاً[١] عفافُ النفس والعرضُ السليم
تجرّعها على طربٍ ولكن بكفِّ اليتم ليس له نديم
على حين الربابة في نُواح يساجلها بـه العود الرخيم
بحيث رقائق الالحان كانت بها الاشجان طافيةً تعوم
كأن ترنم الاوتار نعيٌ وصمت السامعين لها وجوم[٢]
فجاء الموت ملتفعاً بخزيٍ وملء إهابه سفه ولوم[٣]
فاطلق من مسدسه رصاصاً به في الرمى تنخرق الجسوم
تخرّ الى الجبين به « نعيمٌ » كما انقضّت من الشهب الرجوم[٤]
فبان مودعاً بعد ارتثاثٍ[٥] حياةً لا تناط بها الوصوم
لئن لم تبكِ من اسفٍ عليـه سفاهتنا فقد بكت الحلوم[٦]
ولو درت النجوم له مصاباً بكته على ترفعهـا النجوم
عسى الشهباء تثأره فتبدي الى الزوراء ما يبدي الخصيم[٧]
ولم يقتله « ابراهيم » فيما ارى بل ان قاتله « سليم »
أليس سليمُ الملعونُ اغوى نعيماً فهو شيطان رجيم
واخرجه من الشهباء غرّاً يتيماً ما له ابداً زعيم
وجاء به الى بغداد حتى تخرّمه بها قتل أليم
سأبكيـه ولم اعبأ بلاحٍ واندبه وان سخط العموم
ولمّا ان ثوى ناديت ارخ ثوى قتلاً بلا مهل «نعيم»

---

(١) دهاقاً : ممتلئة (٢) الوجوم : الاطراق لشدة الحزن او الغيظ (٣) الاهاب : الجلد (٤) الرجوم: ما يرجم به مفردها رجمٌ (٥) أُرتثّ ارتثاثاً بالبناء للمجهول : حُمل من المعركة جريحاً . الوصوم : العيوب (٦) الحلوم : العقول (٧) الشهباء : حلب . والزوراء : بغداد . تثأره : تطالب بدمه

حديث

هاشم بن يحيى

او

شقاء الشبان

بقالب رواية خيالية اخلاقية تهذيبية تأليف منشىء « النبراس »

حديث الجلسة الأولى

قال راوي الحديث : فلما كان الموعد وانتظم عقد المجلس اخذ موسى بن طارق يقصّ علينا حديثه ويخبر بخبر ما رآى بفصاحة تأخذ بمجامع القلوب، وبلاغة تستأسر الالباب ، وتستنزل العصم من شعفات المضاب . فقال :

— لما ذهبت مغاضباً لقومي ولاعمالهم خرجت هائماً على وجهي الى الصحراء فاتخذت منها مقاماً تحت شجرة عظيمة ، ثم اخذت الفكر ، وتارةً اتاوّه ، وآونةً اتحسّر ، حتى بصرت بشخص قد افترش الغبراء ، والتحف الزرقاء ، فناديته فتنبه من رقاده ثم سعى نحوي ، فلما كان على مقربة مني تقدم اليّ بالسلام فقابلته باحسن منه ، وكان شيخاً جليلاً لمْ يقعْ بصري على احسن منه شكلا ولا الطف هيئة ، فانزلته مني مُنزل الوالد من الابناء ، ثم دار بيننا الحديث عن آداب الامم واخلاقها وعاداتها ، فرأيت منه رجلاً حسن المحاضرة ، لطيف المذاكرة ، في ادب وافر ، وفضل زاخر ، وعلم وكمال ، وتنقيب وجلال ، فوقع في نفسي حديثه موقع الروح من الجسد ، كما حلّ هو مني محل الوالد من الولد

ثم سألني عن حالي وعن الذي اتى بي الى هذا المكان ، فكتمت عنه حديثي والسرّ الذي دعاني الى المجيء الى هذا القفر في جوف الليل . ثم قال : أيْ بُنيّ ! اني اراك مضطرب البال ، مضطرم الفؤاد بما اسمعك من الزفرات ، أذلك من همّ اوحادث

أملاً فيك ؟ فقلت : الهمُّ نصف الهرم ، قال : وما أهمَّك يابنيّ ؟ وهل لك ان تُبيح به لي لارى رأيي فيهِ ؟ فقلت ذاك لو كان في الامكان ·

ثم افترقنا وفي النفس حاجات ، فذهب الى حيث لا اعلم ، فلما غاب عن بصري تنفست الصعداء ، ووددت لو أن روحي فارقت جسمي ولم أُفارق هذا الشيخ الجليل ثم ذهبت لا ادري كيف امشي ام كيف افتكر ؟ فلما عظم عندي الامر نزلت الى المدينة وجعلت اطوف الشوارع والاسواق علّي اقع لتلك الذات الطاهرة على اثر ، فخاب الظن بما كنت ارجوه ، فوقع في نفسي ان اركب متون الاسفار ، واخوض البحار ، ليلَ نهار ، الى أن اجد ماضيعت ، فلما نما فيَّ ذلك الفكر توكلت على الله بعد العزم ، ولم اتزوَّد لذلك الاقوت يومي ، لأن الاسد لا يعدم فريسته اينما وجد ، فلم اتجاوز سور المدينة حتى رأيت شبحاً هالني روئيته ، واخافتني هيئته ، فقلتُ في نفسي لو صحبت مايدرأ عنك ضواري الوحوش ، ويدفع تعدي اللصوص لفعلت حسناً ، فلبثت مفتكراً حائراً لا الوي على شيءُ الا على ما انا فيـه من الهواجس واضطراب الفكر ، ثم لم اجد بداً من احد امرين : إماَّ المضيّ الى حيث انا سائر ، او الرجوع في حافرتي ، وفي الحالة الأُولى تعريض بالنفس الى المهالك ، والقاؤها بين مخالب ذلك الوحش الضاري وانيابه · وفي الثانية السلامة من العطب والخلاص من شرك الشر :

فصرت كاني بين شقّين من عصا حذار الردى او خيفةً من زيالك

غير اني صممت على الهجوم اعزل لاسيف بيدي افوز به على الخصم ، ولا مجنّ يقيني صدماته

واقدمت إقدام الانيّ كأنَّ لي سوي مهجتي او كان لي عندها وترُ

و قلت الى متى انت في الهموم تتخبط ، واعياء الاحزن تحمل ؟ فها: ان الموت يدعوك ، وقد فتح لك ابوابه فادخل ، فذكرت ما انا اكابده من المصائب والكوارث

فعزمت على التغرير بالنفس والقائها في التهلكة بعد أن كنت اقدم رجلاً وأؤخر اخرى . ثم صحوت من سكرة الغرور فندمت على ما صممت عليه ، لأن هذا الفعل ليس من الشجاعة في شيء ، وانما هو من ضعف الرأي وخَوَر العزيمة والتهور الصرف وانما الشجاعة في مثل ذلك بطلب النجاة والسلامة ، وذكرت قوله تعالى: « ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة » فكان ذلك سبباً لاقلاعي عن تلك الفكرة الشنعاء ، ثم قلت لنفسي كيف حُبِّب اليكِ الموت على تلك الصورة المنكرة ؟ وقد ورد : « من قتل نفسه بشيء عُذِّب به الى يوم القيامة » والله يقول : « ولا تقتلوا انفسكم »

ثم كررت راجعاً لا الوي على شيء فاذا صوت يناديني من ورائي : أن اُثبت مكانك ولا تبرح ، اني انا اقصدك وما تريد ، فسُرِّيَ عني عند ذلك وذهب بعض ما كان قد اصابني من الروع ، فالتفتُّ فاذا بالشيخ صاحبنا ، فكان سروري بلقائه اجلّ من فرحي بالنجاة ، وعلمت اذ ذاك ان الشبح الذي رأيته هو الشيخ ايّده الله . ثم ابتدرني بالكلام فقال :

— اي بني ان احدكم ليعيى بطلب حاجته ، وينصب اشدّ النصب لنيل بغيته ، حتى اذا كانت منه على طرف الثمام ضرب صفحاً عنها كأنْ لم يعرفها فلم يمدّ اليها يدا ، وما ذلك الا لفقــد الصبر الذي مدحه الله في كثيرٍ من آياته ، واظنّ انك عرفتني اوعرفت طرفاً من حالي ، ثم بعد ذلك تركتني واخفيت امرك عني

— نعم كان ذلك واني ندمت على مافعلت

الشيخ — اني رأيت رؤيا ، وقد أُمرت فيها بالبحث عنك لا نقذك مما انت فيه من الهواجس ، واشرح لك ما تريده من الامور والشؤون

— كيف ذلك واني احقر من أن يؤبه به او يجاب طلبي ؟ فلستُ من اولياء الله الكرام ، ولا من الصالحين العظام ، ولا ممن أبلوا الاوقات في الطاعات ، ولا اخلقوا الساعات في صالح الدعوات

« انتظر العدد الآتي »